

## دم الثوار

ثار الفلسطينيون بالأرض المحتلة ، ثاروا على قوى الفناء التي تتهددهم وترحف عليهم تبغى طردهم من وطنهم ، أو محوهم من الوجود . تحدوا ومازالوا يتحدون الطغيان المسلح بغضبهم الشريف الأعزل من السلاح . لهم في السابقين من المتحررين قدوة ممن ثاروا بغير سلاح ، فاتصروا بالصبر والمعاناة والإصرار ، وقوة الحق التي لا يُعلى عليها . فليكن أيضاً للإسرائيليين عظة في الطغاة من المستعمرين الذين غرتهم قوتهم ثم انهزموا أمام قوة الحق والعدل . كم أملنا يوم عقدنا الصلح مع إسرائيل أن يكون فرقاناً بين عهد وعهد ، بين تفكير وتفكير ، بين أسود وأبيض ، وأن يكون حجر الأساس في صرح سلام شامل عادل يغير من حاضر المنطقة ومستقبلها . وسرعان ما انصبت علينا خيبات الأمل في سلسلة من الاستفزازات العدوانية ، بدءاً من ضرب المفاعل الذرى العراقى ، ومروراً بالهجوم على لبنان ، وأخيراً بالتصدى للمناضلين العزل ضرباً وقتلاً واعتقالاتاً ونفياً .

لقد اهتز ضمير العالم يوماً للاضطهاد الذى حاق بكم أيها الإسرائيليون ، وغالى في إنصافكم بخلق وطن لكم ، ولكن على حساب أهله الذين شرّدوا في الأرض ، وقد آذيتم هذا الضمير العالمى بفعالكم وأصمتمت آذانكم عن تلبية نداءه بالرجوع إلى شىء من الحق . كان أولى

بكم أن تلبوا نداء الحق بدون دعوة ، إلاّ دعوة ضمائركم التى عانت  
الاضطهاد والظلم ، وكابدت الطغاة والظالمين . كيف تتطلعون إلى  
الاستعمار بعد أن تحول عنه رجاله ؟ وكيف لم توفوا بما وعدتم به بأن  
تكونوا أمة عدل وحرية وأخلاق ؟ .

إنها مأساة بكل معنى الكلمة ، بالنسبة للواقع الدامى ، وبالنسبة  
للذين منّوا أنفسهم بالسلام العادل الشامل . وبرغم كل شىء فنحن لا  
نريد أن ن فقد الأمل ، ونتنظر بين ساعة وأخرى أن يعلو صوت الحق ،  
وأن تنتصر مشيئة الخير .

(١٩٨٨ / ١ / ٢١)

## الحرب

حامت أحلام صبانا وشبابنا حول الاستقلال والديمقراطية والنهضة بصفة عامة ، أمّا الحرب فلم تخطر لنا على بال ، أو تجرى لنا في خاطر ، كأنها قَدْرٌ لايجوز علينا . من عجب بعد ذلك أننى شهدتُ وطنى يخوض حروباً متلاحقة لم يتهياً لفرد في جيل واحد أن يشهد نظيرها في كثرتها . شهدتُ حرب ١٩٤٨ ، و١٩٥٦ ، و١٩٦٧ ، و١٩٧٣ ، بالإضافة إلى حرب اليمن . كما كابدتُ عواقبها الوحيمة مع الملايين فيما أهلكت من أنفس وأموال ، وخربت من هياكل أساسية وزراعية وصناعية ، وفيما جَرَّتْ على المواطن من انحلالٍ وفسادٍ وتسيب ، وتحلل من التقاليد العريقة والسلوكيات الحميدة ، بل إننا مازلنا نعيش بصورة مآ في جو الحرب ، فمننا من يتطوع للقتال مع العراق الشقيق ، ومننا من تراوده أفكار عن الاشتراك في حرب الخليج ، وكأنهم يرددون مع القائل : « وَدَاوِنِي بِأَلْتِي كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ » .

والحرب كريمة ، ولكن قد تُفْرَضُ علينا فرضاً في حال الدفاع عن النفس ، فهذه حرب مقدسة ، يخوضها الإنسان حتى لو لم يكن مستعداً لها ، أو كُفِّئاً للعدو المهاجم . وقد تقتضى ظروف مُلحة قاسية أن نخوض حرباً في غير دفاع مباشر عن وطننا ، ولكن في تلك الحال لا بد من توافر شروط ضرورية :

أولاً : أن يكون الهدف من الحرب واضحاً ، ومقنعاً للجندي والمواطن ، بحيث تهون عليهما التضحية مهما غلت .

ثانياً : أن يكون لنا جيش قوى قادر على تحقيق النصر ، وتحمّل أهوالها حتى لو طال زمنها عمّا قُدِّرَ لها .

ثالثاً : أن يكون الوطن مؤهلاً للحرب من جميع النواحي الاقتصادية والنفسية والاجتماعية .

الحرب ليست فروسية ولا عاطفية ، ولكنها مسئولية تاريخية ، ومصير قد يتقرر لمئات السنين أو إلى الأبد .

(١٩٨٨ / ٣ / ١٠)

## الهوية والهدف

كثيراً ما يتساءلون : مَنْ نحن ؟ يقولون : علينا أن نعرف هويتنا لنحدد هدفنا ، لكن الواقع هو الذي يحدد الهدف . هدفنا في الحياة في زمنٍ ما ينبثق من واقعنا لا هويتنا ، لذلك قد تنشعب حرب بين دولتين من هوية واحدة ، أو يقوم تآلف بين دول من هويات متعددة . بل إن الهدف إذا اتضح واجتمعت حوله القلوب جاز له أن يختار الهوية المناسبة كعامل مساعد على تثبيت ذاته ، وترسيخها في النفوس ، ونحن لنا هويات متعددة ، وجميعها صادقة ، فنحن مصريون ، ونحن عرب ، ونحن من حوض البحر المتوسط ، وأخيراً وليس آخراً ، فنحن ناس من صُلب آدم وحواء .

في عام ١٩١٩ أعلننا الكفاح لتحقيق الاستقلال ، فنأدى سعد زغلول بهويتنا المصرية كصيغة يمكن أن تجمعنا في النضال . وفي الثلاثينيات اشتد تطلعنا إلى الحضارة الغربية فأعلن طه حسين انتماءنا إلى حوض البحر المتوسط .

وفي عام ١٩٥٢ حاقنا الأخطار بالأمة العربية من كل جانب ، فدعا جمال عبد الناصر إلى القومية العربية . وفي السبعينيات وجد السادات أننا غرقنا في مأزق ووجل لا نتشلنا منه إلا مصريتنا ، فأرجعنا إليها ،

وَحَرَكَ نَعْرَتَهَا فِي الْقُلُوبِ ، فَكَانَ الْعُبُورُ وَتَحْرِيرُ سِينَاءَ وَالسَّلَامُ . وَلَعَلَّ  
هَدَفْنَا الْيَوْمَ هُوَ التَّنْمِيَةُ الشَّامِلَةُ ، أَوْ بِذَلِكَ الْجُهْدُ لِلْحَاقِّ بِالْعَصْرِ  
الْحَدِيثِ ، وَهُوَ هَدَفٌ حَيَوِيٌّ لِابْتِدَالِهِ إِلَّا التَّحَلُّلَ وَالْفَنَاءَ ، وَيَقْتَضِي  
ضَمْنَ مَا يَقْتَضِي الْاسْتِقْرَارَ وَالسَّلَامَ . وَلَنْ يَتَهَيَّأَ لَنَا ذَلِكَ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِ  
إِلَّا فِي نِطَاقِ تَكَامُلِ اقْتِصَادِي ثِقَافِي عَرَبِيٍّ . مِنْ هُنَا وَجِبَ تَجْمَعُ الْعَرَبِ  
فِي وَحْدَةٍ رُوحِيَّةٍ مَادِيَّةٍ رَاسِخَةٍ ، لِنَسْتَعِينُ بِتَجْمَعِنَا عَلَى تَحْقِيقِ السَّلَامِ  
الْعَادِلِ فِي شَرْقِنَا الدَّامِي الْمَمْزُوقِ ، ثُمَّ السَّيْرِ الثَّابِتِ بِكُلِّ مَا فِينَا مِنْ أَصَالَةٍ  
إِلَى الْعَصْرِ الْحَدِيثِ .

(١٧ / ٣ / ١٩٨٨)

## التكريم المنسى

في أعقاب إعلان الجائزة تليقيتُ مكاملة تليفونية خارجية من أخٍ عربى يسألنى فيها عن شعورى بعد أن كَرَّمنى العالم ولم تكرمنى أمتى !

وقد عجبت لذلك أشد العجب ، فمهما تكن البداية - وهى لا يمكن أن تخلو من صعوبات وعوائق - فقد تليقيتُ بعد ذلك من التكريم ما يُرضى القلب ، وينعش الهمة ، ويعين على مواجهة الشدائد . مُنِحْتُ جميع الجوائز الأدبية ، مثل جائزة الست قوت القلوب الدمرداشية ، وجائزة المجمع اللغوى ، وجائزة وزارة المعارف ، وجائزة الدولة السابقة ، وجائزة الدولة التقديرية ، وأكثر من جائزة للسينما والتليفزيون . وأهدى إلى وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى ، ووسام الجمهورية من الطبقة الأولى ، وترجمت الإذاعة المسموعة والمرئية الكثير من أعمالى ، ودعنتى للحوار لدى كل مناسبة ، وكان الاعتذار يجيء أحياناً من ناحيتى صوتاً لعينى الضعيفتين ، ولنفورى الطبيعى من الحياة العامة . وأهم من ذلك كله ماحظيت به من إقبال الجمهور ، حتى مع قرار المقاطعة ، واهتمام النقاد والمفكرين ، وما تجشموه من جهد فى مؤلفاتى وتحليلها ، وجاء تكريم السيد رئيس الجمهورية تنويحاً لكل تكريم سابق ( وإعفاءً إن شاء الله تعالى من كل تكريم لاحق ) ، ففاق بكرمه الحلم والخيال .

فكيف يُقال بعد ذلك إنَّ أُمَّتى لم تكرمنى؟ . . ومن عجب أن نسيان  
الفضل قد يجيء من جاحدٍ ، والدنيا لا تخلو من جاحدين ، أما هذه  
المرَّة فإنَّ النسيان يجيء من أصحاب الفضل أو ما نَحِيه ، فكيف حدث  
ذلك؟

وإذن فقد نلتُ من أُمَّتى التَّكريم الشامل الذى يجب أن يُذكَر مع  
الحمد والشكر فى كل حين .

(١٩٨٨ / ٩ / ١)

## كنز للزمن الطويل

من الأحداث المبهرة للأبصار ، والمثيرة للإعجاب والإكبار ، ما أعلنته الفطرة العربية من صلابة وقوة وعزم وصبر وإيمان ، في الحرب العراقية والثورة الفلسطينية . خاض الشعب العراقي حرباً ضروساً طويلة جاوزت ثمانية أعوام عدداً ، يناضل بشجاعة وإصرار ، ويقدم الشهداء فريقاً بعد فريق ، ويتعرض للصواريخ والقنابل ، فتُخلى مُدُنٌ من سكانها ، وتعيش مدن تحت رحمة الموت ليلاً ونهاراً ، وتنحني الهامات تحت وطأة طوارئء حال الحرب وما تفرضه على المواطن من التزامات وانضباطات وتقشف وتنازلات . حقاً ، إنها لصلابة جديدة بكل فخر وثناء ، وذُخْرٌ يُدْخَرُ لمستقبلٍ باهر !

أما الثورة الفلسطينية فقد استمرت عاماً ، واستقبلت عاماً جديداً ، لا تهن ولا تتوقف ولا تتراجع ، ولا تبالى بالوحشية والعذاب والحقد الأعمى . وقد عهدنا الثورات تحسب أعمارها بالأشهر ، ولا تتواصل المقاومة الفعالة إلا إذا تهيأ لها من ظروف الطبيعة حصون كالجبال والغابات ، أما الثورة الفلسطينية فلا حصون لها تحتوى بها إلا إيمانها بحقها المقدس ، وبسالتها الفائقة ، وبطولتها الخارقة النبيلة ، حقاً إنها لصلابة جديدة بكل فخر وثناء ، وذُخْرٌ يُدْخَرُ لمستقبلٍ باهر .

ونحن لا نحب الحروب إلا أن تكون دفاعاً عن النفس ، ولا ندعو  
للثورات إلا أن تكون تطلعاً للتحرير والحرية والكرامة ، ولكن يسعدنا  
ولاشك أن تكشف الحوادث في طبيعة شعبنا العريق عن عناصر قوة  
لابد أن تتحول مع الموجة الصاعدة إلى البناء والتعمير ، والإبداع  
والحضارة في ظل السلام العادل . ترى هل آن ليلنا الطويل أن يسفر  
عن فجر مضى ؟

(١٩٨٩ / ١ / ٣٦)

## نحو التكامل والحضارة

من إنجازاتنا القومية الرائعة الاتفاقية الاقتصادية بين مصر والأردن والعراق واليمن الشمالية ، وعندما تُحقق أهدافها سيضمها التاريخ إلى سجل انتصاراتنا التي نعتز بها ، مثل تحرير سيناء، والعودة إلى الديمقراطية ، أرجو أن تكون الخطوة الأولى في طريق التكامل الاقتصادي العربي ، أو الأساس المتين للبعث التنموي العربي الحديث. ومن المعروف أن قوانين الجامعة العربية تحوى مبادئ نهضتها وتقدمها ، ولكن الشؤون السياسية استأثرت بالاهتمام ، ولما نشبت الخلافات أصبحت من دواعى التمزق والتفرق ، وصار مجرد الإشارة إلى الهموم الحضارية مثارا للتهكم والسخرية ، وتناسينا في حومة الغضب أن عدونا الأول هو التخلف في سباق العصر .

والبعد بالتعاون الاقتصادي بين الدول الأربع يدل دلالة قاطعة على أن التأجيل - انتظاراً للتكامل الكامل - لم يعد محتملاً ، وأن البدء بالجزء خيرٌ من انتظارٍ قد يطول ، وسيكون نجاحه دعوة عملية مفتوحة لكل متردد أو غافل . وهو أيضاً دليل على اليقظة وإن جاء متأخراً ، لأهمية القاعدة الاقتصادية ، وقيمة الحضارة في زمن أصبح يُقاس تقدم الإنسان فيه بقيمة تحضره وعطائه ومشاركته في النمو الإنساني العام .

بل إنه زمن التجمعات والتكتلات الحضارية بديلاً عن التجمعات والتكتلات السياسية والعسكرية التي عُرِفَ بها التعامل بين الدول في الماضي القريب والبعيد ، وهي تكتلات تقتضى شروطاً أكثر من مجرد القوة وحدها ، تقتضى تفوقاً في العالم والإنتاج ، وتوسعاً في الثقافة واحترام حقوق الإنسان . حقاً إنَّ كل دولة عربية تمارس تنمية إقليمية بدرجات متفاوتة من النجاح ، ولكن التعاون يفتح لها آفاقاً جديدة للعمل ، وحلولاً جديدة للمشكلات ، ويمدها بقوة متجددة على المستويين المعنوي والمادى . أتمنى أن أرى مع كل طلوع شمس نوراً حضارياً مقبلاً .

( ١٩٨٩ / ٣ / ٩ )

## الوحدة الثقافية

مهما تفرق العرب أو اختلفوا فثمة وحدة بينهم لا تغيب ، هي الثقافة . . قد تتعرض علاقاتها للضعف ، أو التوقف المؤقت ، أو المقاطعة ، ولكنها لا تغيب مطلقاً ، وتظل مطلباً روحياً مُلِحاً ، يقيم لنفسه دولة فوق الدول ، وصدافة بين العداوات ، وملتقى بريئاً طاهرًا تضحك فيه الشعوب من نزوات حكوماتها . من أجل ذلك حافظت على درجات متفاوتة من التواصل والتفاعل ، حتى في عهود الاستعمار والشقاق والمنافسات الخرقاء ، ثم هَيَمَت قوتها مخترقةً السود بفضل وسائل الإعلام الحديثة . ولكن آن لنا الأنا نترك سريانها للرحلات والمعارض والمهرجانات والتهريب . لابد من إعداد وتنظيم ، وتحويل الاقتراحات المقدسة في سجلات الجامعة العربية إلى حقائق فكرية وسلوكية .

نحن على أبواب ثورة تربوية للانتقال من عصر إلى عصر ، وتعد عقولنا وتقاليدنا لمستقبل جديد حافل بالصعوبات والمغامرات ، فعلينا أن نتبادل الخبرات والآراء لنهتدى إلى أسس جديدة لبعث العقول والأرواح ، وعلينا أن نتفق على سياسة طويلة للتبادل الثقافي ، والتعاون المثمر في مجال الإذاعة للمسموعة والمرئية ، ومثل ذلك في الأهمية أن ينعقد مؤتمر من وزراء الثقافة والاقتصاد لإزالة العوائق التي تعترض تدفق الكتاب في السوق العربية ، ولتحمى الفكر من المزورين وقطاع الطرق .

بل لعله قد آن الأوان لإنشاء شركة توزيع على المستوى العربى لتتيح  
للكتاب والأشرطة الوصول إلى كل مكان يُقرأ ويُسمع أو يُرى . وأضيف  
إلى ذلك اقتراحًا بإنشاء مؤسسة على المستوى العربى للترجمة من وإلى  
العربية ، متفعة بكل الوسائل الحديثة لخلق نهضة تربطنا بركاب العالم  
المنطلق بسرعة الصاروخ .

الوحدة الثقافية بالإضافة إلى الوحدة الاقتصادية هما ممَّا نُنادى به منذ  
سنوات . وهما الأساس المكين لبعث هذه المنطقة من جديد لتمارس  
دورها الحضارى المأمول .

(١٦ / ٣ / ١٩٨٩)

على جامعة الدول العربية أن تعيد النظر في نشاطها على ضوء العصر، لا أبغى من وراء ذلك تغييراً في رسالتها التقليدية ، أو تعديلاً إضافياً في ميثاقها ، ولكن لتتصدى بكل همّة لاقتحام التحديات ، وحل المشكلات ، ومحو الخلافات ، وتوثيق التعاون والتآخي والسلام . وعليها أن تبذل نشاطاً مضاعفاً فيما يتعلق بحاضر حضارتنا ومستقبلها :

١ - عليها أن تنسق بين دولها فيما يحقق ثورة شاملة في التربية والتعليم، وإعادة خلق العقل العربي ليوافق المستقبل بجدارة إنسانية لائقة .

٢ - عليها أن تقترح خطة ثقافية عامة لتعريف الفرد بذاته وعصره ، وإعادة الروح إلى وعيه ، متعاونة في ذلك مع مراكز التعليم والإعلام .

٣ - عليها أن تقترح التشريعات الواجبة لحفظ حقوق الفكر والإبداع، وإيجاد السوق المشتركة للكتاب العربي ، والقضاء على المزورين واللصوص .

٤ - عليها أن تعيد النظر في الخطة المتكاملة للاقتصاد العربي ، مستهدفة الاعتماد على الذات ، وتوفير الغذاء، وتشغيل الأجيال الجديدة .

٥ - عليها أن تعمل على إقامة جهاز ضخيم للبحث العلمي ، وتوفر له احتياجاته من المال والنظام والكوادر البشرية .

هذه إشارة إلى تَوَجُّهٍ ضروري غير قابل للتأجيل ، يجعل من الجامعة العربية مركز إشعاع للعلم والثقافة والرخاء ، ودار الحكمة التي ينتمي إليها كل عربي متطلع إلى الحياة والنور .

(١٩٨٩ / ٧ / ٦)

## النجوى بين الأشقاء

لا يملك أى نظام للحُكم قُوَى سحرية لحل المشكلات وتحقيق العدل والتقدم والرخاء . العبرة فى النهاية بالرجال ، والكفاءة والنزاهة والاستنارة ، ولايعنى ذلك أن جميع الأنظمة تتساوى كإمكانيات مطروحة للعمل والاختيار . . ستظل الديمقراطية متفوقة بما تهيئه من حرية وكرامة ورقابة واحترام لحقوق الإنسان ، وربما يحظى فيها الفرد والشعب من المشاركة فى العمل ، والتعاون فى حمل المسؤولية . فلا وجه لأن نعتبر الحُكم العسكرى السودانى هزيمة للديمقراطية ، فكم من حُكم عسكرى قد مُنَى بالفشل ، وكم من حُكم شمولى قد أودى ببلاده إلى الخراب والوحشية .

وكان المأمول أن ينجح الحُكم الديمقراطى السودانى ليهدى إلى العرب مثلاً طيباً فى الممارسة ، كما أهدى إليهم مثلاً كريماً بثورته على الظلم والاستبداد ، ولكن ساءت الأحوال برغم أنه تهبأ لها أطيب مناخ صحى للعمل . غلب الفساد والعجز والحزبية العمياء والقبلية ، وتدهورت الأمور فى الداخل والخارج . وما نملك اليوم إلا أن نتمنى للحُكام الجدد التوفيق والفلاح حتى لا يهدر زمنٌ آخر من عمر السودان

الغالى . كما نرجو لهم النجاة من مزالق حُكم الفرد ، وأن يعتبروا أنفسهم  
حقاً فرقةً إنقاذ تستهدف العلاج الحاسم لكل داء مستفحل كي تُسَلِّمَ  
الأمرَ فى النهاية إلى الشعب صاحب الحق الشرعى الأول فى حكم نفسه .

(١٩٨٩ / ٧ / ١٢)

عيد البعث والسلام . كان نصرًا ، ولكنه لم يكن نصرًا على عدوِّ بقدر ما كان نصرًا على اليأس والكآبة والعبث والعدمية . انبعثت فيه الروح العربية متألفة متفتحة كما عهدتها التاريخ في الزمان الأول ، فتوجهت من منطلق تخطيط حكيم نحو واقعية رصينة تتصدى للمشاكل وتنشد السلام . . وقد اعتمدت تلك الوثبة التاريخية الكبرى على أساسين لا غنى عنهما معًا لأى وثبة حقيقية في شعبنا ، هما : الإيمان والعلم . إيمان بالله تَحَطَّى بنا عقبات مادية ونفسية عنيدة ، وبارك حُطَى جنودنا في ميادين القتال ومواجهة الموت ، وتنظيم دقيق ، وتدريب رائع ، واستيعاب كامل لأحدث وسائل القتال وأشدها تعقيدًا واقتضاءً للمهارة والذكاء . وهكذا تهباً لنا في لحظة تاريخية قيادة جمعت بين الحكمة والشجاعة والوطنية ، وجنود تحلَّوْا بالإيمان والبسالة والفدائية ، فانتشلوا مصر من مستنقع العار والهزيمة والقنوط ، وأنزلوها بدار العزة والكرامة ، وفتحوا لها أبواب السلام والاستقرار والحضارة .

كان ذلك جديرًا بأن يمهد للوطن سبيلاً لنهضة شاملة ، روحية ومادية ، وكم فرح المخلصون واستبشروا خيراً ، فأمّنوا بأن ليل الأحران سيسفر عن صُبح مشرق بهيج . ولكنَّ الانتهازيين أثبتوا أنهم أشد وطأة وقسوة على هذا الوطن من أعدى أعدائه . تربصوا كالغربان ، ثم

انْقَضُوا من منافذ الانفتاح ، هازئين بتضحيات الشهداء ، وثكل  
الأمهات ، يجمعون المال الحرام ويهيرونه ويعيثون في الأرض الفساد ،  
حتى أغرقوا البلاد في الديون والمخدرات والانحلال والتطرف والعنف .

تذكر يوم السادس من أكتوبر وقُلْ : إِنَّا سَنُصَفِّي الْأَوْغَادَ كَمَا صَفَّيْنَا  
يوم الخامس من يونية ، وسنطهر البلاد من السم والأنانية والجشع .  
حسبنا أن نتمسك بالأساسين اللذين قام عليهما النصر ، وأي نصر ،  
وهما : الإيمان والعلم .

(١٩٨٩ / ١٠ / ٥)